معارك الجهاد في الشعر بصدر الإسلام

الدكتور/ مسلم عبيد الرشيدي

استاذ مساعد – جامعة الامير سلطان –الرياض

الملخص

كان للشعر في صدر الإسلام أهمية كبرى في نفوس الشعراء الذين رافقوا جيوش الفتوح، والذين لم يرافقوها،وجاء يمجد البطولة الإسلامية المنتصرة، ويرثي الشهداء، ويصف المعارك، ويبين أثر النصر في نفوس المنتصرين، وأثر الهزيمة في نفوس المنهزمين.

ويوضح الدوافع التي حفزت المقاتلين على الجهاد من خلال هذا الشعر،و مدى تأثرهمبالعقيدة الإسلامية بداية نشوء الدولة الإسلامية، ولما لهذا الشعر من أهمية في الإجابة عن تساؤلات ترتبط بالكشف عن مدى انخراط شعر فتوح العصر الإسلامي في الفعل الجهادي، ومدى تأثره بتعاليم الدين الإسلامي الجديد، ومدى التزامه به في تلك الظروف الصعبة الخطيرة، ولذلك رأى الباحث أن يدرس هذا الشعر ويبحث عما فيه من أدلة وإشارات إلى الروح الجهادية التي حملت هؤلاء المجاهدين للقتال وبث روح الحماس في صفوف المجاهدين، والتغني بالنصر وتأكيد أنهم الفئة المنتصرة لأنهم يرفعون راية الحق.

وجاء هذا البحث بمقدمة وتمهيد، تحدثت في التمهيد عن فضل الجهاد والتعريف به ، وذكرت بعض الأدلة الواردة من القرآن الكريم أو السنة النبوية الدالة على ذلك، ثم تناولت قصائد الجهاد التي قيلت في وصف المعارك بالإضافة إلى القيمالتاريخية العظيمة العالية، لأنها تكشف عن سماتقصيدة الجهاد في ذلك العصر ومدىالالتزام به مع الوضوح والبساطة والسرد التاريخي لكل مراحل معارك الجهاد، وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد.

اقتدرت الدولة الإسلامية الناشئة في شبة جزيرة العرب على تغيير ملامح العالم القديم في مدة قصيرة حين هدمت إمبراطوريتين عظيمتين: الرومانية والفارسية، وبنت على أنقاضهما دولة مترامية الأطراف، بلغت حدودها الصين وتونس وبحر قزوين والسودان، وظهر شعر الفتوح والمغازي الذي فرضته دواعي الجهاد في سبيل الله كغرض شعري جديد؛ فقد نظم الشعراء الذين رافقوا جيوش الفتوح، والذين لم يرافقوها كثيراً من الشعر الذي يمجد البطولة الإسلامية المنتصرة، ويرثي الشهداء، ويصف المعارك، ويصف أثر النصر في نفوس المنتصرين، وأثر الهزيمة في نفوس المنهزمين.

ولما وجدت أنللشعر الذي قيل في المعارك والفتوحات في العصر الإسلامي من أهمية بالغة في التأريخ لانتشار الإسلام، وفي توضيح الدوافع التي حفزت المقاتلين إليه،وفي تلمس مدى تأثير العقيدة الإسلامية في العقلية العربية في بداية نشوء الدولة، ولما لهذا الشعر من أهمية في الإجابة عن تساؤلات ترتبط بالكشف عن مدى انخراط شعر فتوح العصر الإسلامي في الفعل الجهادي، ومدى تأثره بالتعليمات والقوانين والأنظمة الجديدة، ومدى التزامه بها في تلك الظروف الصعبة الخطيرة رأى أن يدرسه ويبحث عما فيه من أدلة وإشارات إلى الروح الجهادية التي حملت هؤلاء المقاتلين للقتال.

وقد بينت الدراسات السابقة أنه كان للشعر في العصر الإسلامي أهمية كبيرة في الفتوحات كوسيلة نافعة في التحريض على الأعداء،والتحميس للقتال والحض عليه، وأنه كان الناقل الأمين والمصورالمثري للأحداث في ساحات القتال. وقد رجع الباحث إلى تلك الدراسات المهمة التي تطرقت لهذا الموضوع، وأفاد منها؛ أفاد من الآيات الكثيرة التي تحدثت عن الجهاد في القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية الشريفة في صحيح البخاري، ومن كتاب كمال جبر أمين(شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة، ومن كتاب فوزي محمد أمين (في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي) ، وكتاب عمرو سعيد الهليس (شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري)

ورأى الباحث أن في تلك الدراسات خيرا كثيرا، إلا أنها في أكثرها تأريخية وحسب، ولم تتطرق إلى القضايا الفنية التي أنتجتها المعارك الدعوية في قصائد الجهاد التي بنت ونظمت المعركة،أو في حدود آثارها، وفي أوقات ذروة الصدمة الإسلام بأفكاره وتعاليمه والكفر وأفكاره وتعاليمه ، ولم تتحسس أثر العقيدة في تلك القصائد بصورة عميقة كاشفة، ولم تحاول تلمسها، ولم تولها ما تستحق من البحث والدراسة والعرض والتحليل، فهي كانت أداة استشهاد واستدلال على الفكرة لا مادة فنية أدبية.

ولتحقيق ذلك تناول الباحث في هذه الدراسة الشعر الذي قيل في وصف المعارك الإسلامية والفتوح والغزوات في عصر صدر الإسلام التي منها: معركة بدر، وفتح مكة، وغزوة خيبر، ومعركة مؤتة، ومعركة القادسية،وغيرها.

التمهيد

يعرف الجهاد بأنه بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة، أو معاونة بمال أو رأي أو غير ذلك، فهو كل ما يرتبط بالقتال لإعلاء كلمة اللهِ ورفع رايةِ الإسلام، وهو مرتبط بامتناع الكفار عن قبول دعوة الإسلام، ومقاومتهم لها، ووقوفهم في سبيلها، والحيلولة دون نشرها[١].

قال تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" [٢].

وقال رسول الله ،صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله "[٣].

لقد أقام الرسول، صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة دولة الإسلام على ركيزتين قويتين متينتين:الإيمان والتقوى، ونظّم شؤونها على أساس تعاليم الإسلام العادلة؛ فقد آخى بين المهاجرين والأنصار، وغرس فيهم حب الله، وحبَّبهم بالآخرة، وحضَّهم على طاعة الله واتّباع أوامره،واجتناب نواهيه، وعلّمهم فأحسن تعليمهم، ورباهم وأحسن تربيتهم، ثم بنى جيشا منظما تسلح بسلاح الإيمان وسلاح القوة العسكرية.

ولما رأى أعداء الإسلام أن الإسلام انتشر وقوي في المدينة المنورة خافوا وجزعوا، فكادوا للرسول وللمسلمين، ومكروا سرا وعلانية في محاولة لمنع انتشاره.

علَّم الرسول، صلى الله عليه وسلم، أصحابه القتال، وجعل الدافع النفسي عندهم هو حب الله ورسوله، وطلب الشهادة في سبيل الله، وذلك لما أعد للشهداء من الأجر والثواب.

قال تعالى: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" [٤].

وصدع الرسول، صلى الله عليه وسلم، بأمر ربه، وجعل يحرض المؤمنين على قتال أئمة الكفر، ويحثهم على جهاد المشركين، وتولى نفسه قيادتهم، ومضى يبشرهم صلى الله عليه وسلم (إن غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها). [٥]

وقال صلى الله عليه وسلم:(إنه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في انف مسلم).[٦]

١- **شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة . كمال جبر أمين دار المناهج، عمان- الأردن. الطبعة الأولى١٩٩٩م، ص١٥٥.**
٢- **سورة التوبة.آية٢٨.**
٣- **البخاري، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ج ٢.ص ٥٠٧.**
٤- **سورة آل عمران ، آية: ١٦٩.**
٥- **النيسابوري،.مسلمبنالحجاجأبوالحسينالقشيري، صحيح مسلم، تحقيق : محمدفؤادعبدالباقي، دارإحياءالتراثالعربي – بيروت، ج٣: ص ١٠٤٥.**
٦- **السلمي، محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٤: ص ٥٥٥.**

وقال صلى الله عليه وسلم:(طوبى لعبدٍ أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه).[٧]

وقال صلى الله عليه وسلم:(من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا).[٨]وقال صلى الله عليه وسلم:(والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدتُ خلاف سريةٍ تغزو في سبيل الله أبداً.[٩]

وبهذه المفاهيم غرس رسول الله في نفوس المسلمين حب الجهاد، ودفعهم إلى الإعداد والاستعداد، وتوفير أسباب القوة والسخاء في بذل المال والنفس، وعلمهم استعمال المكيدة، ومفاجأة الأعداء، وقطع الأخبار عنهم وتضليلهم، والتعمية عليهم.

وكانت معركة بدر أولى المعارك المنتصرة التي خاضها المسلمون في سبيل الله تحت راية الرسول، صلى الله عليه وسلم.

شعر الجهاد في معركة بدر

خرج الرسول، صلى الله عليه وسلم، يوم بدر من العريش فحرض الناس على الجهاد وقال: " والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة". فانطلق الصحابة يتسابقون إلى الجهاد، ويسارعون إلى لقاء الكفار، لا يمنعهم كبر سن، ولا يعوقهم خلو اليد من المال، حتى الصبيان تنافسوا في الخروج مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبهذا الإيمان القوي قاد الرسول جيشه في ميدان القتال طمعاً بثواب الله ورغبة في لقائه، وسعياً لنشر دينه،[١٠]يقول كعب بن مالك:[١١]

وقال رسول الله لما بدوا لنا	ذروا عنكمُ هول المنايا واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا	إلى ملك يحيا لديه ويرجعُ
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا	على الله إن الأمر لله أجمعُ

عنيت القصيدة بما قال الرسول الكريم، وهذا دأب الشعراء في صدر الإسلام إذ أولوا السنة النبوية في شعرهم عناية خاصة واهتموا بنقله . وقد بيَّنت الأبيات السابقة أن المسلمين كانوا ينصوتون لكلام نبيهم، ويطيعونه، ويتبعونه، ويتأدبون في مخاطبته، فينادونه برسول الله، ويؤمنون بما يقول، ويعملون به، فهم في وقت القتال ومواجهة الموت يتذكرون وصاياه: الإقبال وعدم الخوف من الموت،وبيع أنفسهم لله في ساحة الجهاد، والتوكل على الله، والصبر واحتساب الأجر عند الله.

١- المصدر السابق،صحيح البخاري.محمد بن إسماعيل البخاري . ج ٦.ص ٢٦٨.

٢- المصدر السابق،صحيح البخاري.محمد بن إسماعيل البخاري . ج ٣.ص ١٠٤٥ .

٣- المصدر السابق، النيسابوري،.مسلمبنالحجاج، صحيح مسلم، ج٣: ص ١٤٩٥.
٤- المصدر السابق، شعر الصراع بين الإسلام وخصومه.ص١٥٦,١٥٧.
٥- الأنصاري، كعب بن مالك. ديوانه، نشر مكتبة النهضة – بغداد ، تحقيق: سامي مكي المعاني، ط١، ١٩٦٦م، ص٢٢٤.

واستقصى أصحاب الرسول،صلى الله عليه وسلم،من الشعراء أحداث المعارك، وما قيل فيها، وما جرى من محاورات ومناظرات وملاسنات، فأخذوا منها ما يفيدهم في النيل من الأعداء، حين أحالوها أشعارا قاسية في الهجاء. ومن ذلك قول حسان في معركة بدر: [١٢]

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردهم شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم من منجدين ومنهم فرقة غاروا

لن يخفى على القارئ أن الأبيات السابقة تتحدث عن نتيجة معركة بدر؛عن هزيمة الأعداء وهروبهم المخزِي ،ولكن الشاعر فيها أشار إلى نقاط كثيرة خطيرة جديدة طارئة على المجتمع العربي بطريقة ذكية لطيفة: فهو قد أجرى مقارنة عميقة بين القائدالطيب المحبوب المطاع الذي يقود جيش الإسلام بهدى من الله وبحب ووفاء، ويبحث لهم عن الخير، والقائد الخبيث الذي يقود جيشه بغرور وعلى غير هدى إلى شر الموارد التي فيها الخزي والعار. وانتهى إلى أن جيش المسلمين الذي يسير بيقين علم، وثبات قدم خلف قائده،انتصر وأن جيش العدو ولى هاربا تاركا سراته، وفي ذلك إشارة عميقة إلى ولاء جديد وانتماء وفي منتصر . وإشارة إلى هزيمة الولاء القبيلة والأشخاص. وفي حين كان توجه المسلمين إلى الله كان توجه الكافرين إلى القبائل الأخرى.

ويقول كعب بن مالك في وصف موقف المسلمين وهم يخوضون المعركة، ووصف بطولتهم المنتصرة : [١٣]

فلما لقيناهم وكلُ مجاهدٍ لأصحابه مستبسِلُ النفس صابِرُ
شهدنا بأنّ اللهَ لا ربَّ غيرهُ وأن رسولَ الله بالحقّ ظاهرُ
وقد عُرَيَتْ بيضٌ خفافٌ كأنها مقابيسُ يُزهيها لعينيكَ شاهرُ
بهنَّ أبدنا جمعَهُم فتبدّدوا وكان يُلاقي الحَيْنَ مَنْ هو فاجرُ
لأمر أراد اللهُ أن يهلِكوا بهِ وليس لأمرٍ حماهُ اللهُ زاجرُ.

يتحدث كعب بن مالك في الأبيات السابقة عن النصر وتبديد جيش المشركين وهلاكه الذي انتهت إليه المعركة، وهو يقارن فيها بين مصير من كان ولاؤه لله ومن كان ولاؤه لغيره بلغة قوية موحية وصف فيها جنود المسلمين وهم صابرون مستبسلون في الدفاع عن الإسلام، يرفعون راية لا إله إلا الله وحده، وأن محمدا رسوله، ويوقنون أن الرسول ظاهر بالحق، وأن أمر الله نافذ،ففي الأبيات إشارات إلى فكرة التوحيد، وإلى قوة تمكن الإيمان من نفوس المسلمين،

١- الأنصاري، حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر – بيروت، ط ٢٠٠٦م، ص ، ص ٤٧٥- ٤٧٦.

٢- المصدر السابق ، الأنصاري، كعب بن مالك، ديوانه، ص ٢٠٠.

وحديث عن الإيمان بالقدر، وما كتبه الله للمسلمين من نصر ولأعدائهم من هلاك، وكغيرها من قصائد الجهاد اعتنت هذه القصيدة بالرسول وموقفه وكلماته.

وصف النصر وهزيمة الأعداء بعد معركة بدر:

ويتحدث كعب بن مالك عن مصارع المشركين وفرارهم فيقول: (١٤)

فلما تلاقينا ودارت بنا الرَّحى فليس الأمر حمه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم كأنهم بالقاع خشب مصرع
وراحوا سراعاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا أسود على لحم ببيشة ظلع.

وصف كعب بن مالك الفعل القتالي البطولي لصحابة الرسول وهزيمة الأعداء، ورسم صورة حية لأرض المعركة وقت القتال وبعده، وأكد قيمة عقدية إسلامية مهمة في حياة المسلم، وضرورية لمن يخرج للقتال في سبيل الله وهي أن أمر الله نافذ لا دافع له، وفي الأبيات السابقة تأثر بآيات القرآن الكريم وإشارة إلى إيمان عميق بما جاء فيها، فقوله تلاقينا من قوله تعالى : "وإذا لقيتم الذين كفروا " وفي قوله:ضربناهم تأثر بقوله تعالى :" فضرب الرقاب، والصورة الكلية للأبيات مأخوذة عن الصورة الكلية التي في الآيات فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، ولهذا التأثر العميق بالآية القرآنية دلالة عظيمة في تمكن القيم الإسلامية وأفكارها في نفوس المسلمين.

وخلا هذا الشعر الذي يتغنى بالنصر من الهجاء المقذع، والتشفي المؤلم ، والغرور المتباهي ، ولم يمتد ليطال الأعراض غير المشاركين في المعركة من الأعداء، وهو استعراضا مبررا للقوة ، وتباهيا بالانتماء للإسلام ورضا وفخرا بما قدموه في المعركة

وحين أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقتلى المشركين أن يطرحوا في القليب، ووقف عليهم فقال: "يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا . فقال له الصحابة : يا رسول الله : أتنادي قوما قد جيفوا ؟ قال : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني".(١٥)

وكان حسان بن ثابت ممن أصغى واستمع لقول رسول الله ، فتدبر كلماته الشريفة وهي تخرج من فيه الطاهر وسارع إلى تمثلها بقوله: (١٦)

يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

١- **الانصاري، كب بن مالك ، ديوانه ، ص** ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

١- الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة – القاهرة،جـ ٢: ص١٣١.
٢- الانصاري ، حسان بن ثابت ، ديوانه ص ٢٥

في الأبيات السابقة قضية عقدية عميقة عن أهل القبور ، متكئة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نظم حسان بن ثابت الحديث النبوي شعرا لطيفا فيه حوار وسؤال وإقرار وتقرير، واستغل معانيه ليؤكد إيمانه بصدق النبي وإيمانه الثابت بما جاء به.

ويعدد كعب بن مالك القتلى المشركين الذين كبوا صرعى على وجوههم، وهو لا ينسى أن يذكر مصيرهم الذي أعده الله لهم يوم القيامة، لأنهم قاتلوا الرسول وكذبوه، واتهموه بالسحر فيقول:[١٧]

فكب أبو جهل صريعا لوجهه وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى وما منهم إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر
تلظى عليهم وهي قد شب حميها بزبر الحديد والحجارة ساجر

إن الحديث عن حياة أخرى بعد الموت، وعن جهنم ووصف ما يلاقيه فيها الكافر من عذاب في نارها، وعن خلود الكفار فيها،هي أمور ثابتة، وحديث الشاعر عنها بهذه الصورة، وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشير إلى المصير المعد للكافرين بجهنم.

ولعل في أبيات الحتات بن ذريح وهو يخاطب أباه الذي بكاه واستعطفه ليرجع من المعركة ما يبين تلك العاطفة الدينية الصادقة، يقول:[١٨]

ألا من مبلغ عني ذريحاً فإن الله بعدكقد دعاني
فإن تسأل فإني مستقيد وإن الخيل قد عرفت مكاني

ونرى أن الدافع الدينيالقوي يدفع بالأم الخنساء بنت عمرو السُلميةحتى تقود بنيها جميعًا إلى الجهاد، وتعدهم له، وهم يتغنون بهذه النصيحة شعرًا يكشف عن تمكن روح الجهاد في نفوسهم وفعله بهم: [١٩]

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة وأنتم بين حياة صالحة

وصف الجياد يوم فتح مكة

٣- **الانصاري، كب بن مالك ، ديوانه ، ص** ، ١٠١.

١- **العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ج٢: ص ٤٢٦.

٢- **عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م ، دار الجيل – بيروت**،ج ٤: ص ١٨٢٨.

سما الشعر بحسان بن ثابت سمواً لم يدركه شاعر إسلامي آخر، فقد كان الشاعر الأقرب إلى الرسول بل كان يلقب بشاعر الرسول، وقال حسان العديد من القصائد دفاعاً عن الرسول والمسلمين ونصرةً للإسلام، وهجا أعداء الإسلام وخصومه، وقد كان الرسول عليه السلام يقربه منه، ويحثه على قول الشعر، ويقسم له من العطايا والغنائم، ويدعو له قائلاً: "اللهم أيده بروح القدس"، ومن أبياته المشهورة في هذه القصيدة بدأ بها بمطلع الأطلال، فقال: [٢٠]

عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ تعفيها الروامسُ والسماءُ
وكانَتْ لا يَزَالُ بِهَا أنِيسٌ خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فدعْ هذا، ولكن منْ لطيفٍ يُؤرّقُني إذا ذَهَبَ العِشاءُ
فدعْ هذا، ولكن منْ لطيفٍ يُؤرّقُني إذا ذَهَبَ العِشاءُ

التزم الشاعر المقدمة الطللية في القصيدة وسار سير واثق على خطى الشعراء السابقين، ملتزما القول الرقيق اللطيف النظيف.ثم يقول: [٢١]

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات تلطمن بالخمر النساء

يصف حسان في الأبيات السابقة خيل المسلمين في المعركة مستخدما الكناية والتشبيهات المختلفة؛ فهي خيل تثير نقع المعارك لأنها خيل مدربة على خوضها، وهو يضع بين يدي القارئ هذه الصورة المثالية للخيل المشاركة في القتال لتتكامل والصورة المثالية التي رسمها لفرسان المسلمين، فهو في وصفه للخيل كان يمدح فرسان المسلمين، ويصف إقبالهم على القتال، ويمدح نساء المسلمين اللواتيكن يرددن الخيل إلى ساحة المعركة إن خرجت منها.

ويصور كعب خيل المسلمين وهي في حومة الوغى فيقول:[٢٢]

فلا تعجل أبا سفيان وارقب جياد الخيل تطلع من كداء
بنصر الله روح القدس فيها وميكال فيا طيب الملاء.

في الأبيات السابقة تهديد واضح قوي واع مركز مكثف باستخدام الجمل الإنشائية :لا تعجل، وارقب، فيا طيب الملاء، وفيها أيضا ذكر للروح القدس وهو من الغيبيات، وفي ذلك إشارة ودليل على إيمان صاف صادق بوجوده، وثقة بأنَّ الله سيرسله وميكال لنصرة عباده، وحين يذكر الشاعر أنهما مع الخيول التي تطلع من كداء لنيل النصر فإنه يعطينا صورة واضحة

٣- **الانصاري، حسان بن ثابت ، ديوانه ، ص** ، ١٧ - ١٨ .

١- **الانصاري، حسان بن ثابت ، ديوانه ، ص** ، ١٩ .
٢- **الانصاري، كب بن مالك ، ديوانه ، ص** ، ١٦٩.

لمدى عمق الإيمان وقوته في نفوس الصحابة، وثقتهم بأن طريقهم هي الطريق السليم، وأن الله معهم.

وصف المعركة في غزوة خيبر:

ويتحدث حسان بن ثابت عن حصار المسلمين لحصن يهود بني قريظة،ويبين سببه، فيقول: [٢٣]

فما برحوا بنقض العهد حتى فلأهم في بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صقوف له من حر وقعتهم صليل

تحمل الأبيات بالإضافة إلى قيمتها التأريخية بالإشارة إلى أن نقض يهود بني قريضة العهد مع المسلمين كان سبب حصارهم ما صُب عليهم من عقاب، صورة واضحة للنفس المسلمة التي لا تتشفى ولا تمثل ، فقد خلت الأبيات من التشفي وامتلأت بوصف قوة المسلمين وعدم سكوتهم عن الأعداء.

وحين وصف حسان بن ثابت ما حل ببني قريظة لم يوغل في وصف قتلاهم وحرص على ذكر السبب الذي أودى بهم إلى التهلكة :[٢٤]

لقد لقيت قريظة ما سآها وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد أصاب بني النضير
غداة أتاهم يهوي إليهم رسول الله كالقمر المنير
تركناهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذاك يدان ذو العند الفجور

يصف حسان حال بني قريظة، وقد لقوا جزاء عملهم وتآمرهم، "ذلك أن الرسول قتل رجالهم وترك دماءهم عليهم كالغدير، وترك أجسامهم طعاماً للطير جزاء فجورهم وعنادهم وتآمرهم[٢٥]"وتحضر في هذه الأبيات أخلاق الشاعر المسلم الذي ليس باللعان ولا بالطعان ، وفيها إشارة تاريخية إلى أن الرسول تصدر المسلمين في قتال بني قريظة، وهي أيضا درس حربي نافع للقادة الذين يبحثون عن النصر.

وتحمل الأبيات صورة شعرية جديدة شبَّه فيها الشاعر الرسولَ بالقمر المنير الذي يهوي على الكفار، ولعل هذه الصورة هي التي فتحت الباب أمام الشعراء لوصف الرسول ونوره.

٣- **الانصاري، حسان بن ثابت ، ديوانه، ص** ، ١٩٦.

١- **الانصاري، حسان بن ثابت ، ديوانه**، ١٣٤.
٢- **شعر الصراع بين الإسلام وخصومه.ص١٩٠**.

وصف المعركة في غزوة مؤتة

انطلق الجيش الإسلامي إلى خارج حدود جزيرة العرب ليقاتل حكام العرب والروم، وسار حتى نزل معان من أرض الشام، فلما علم هرقل بذلك، نزل مآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وانضم إليهم مثلهم من عرب لخم وجذام وبهراء وبلي، فلما بلغ المسلمين ذلك أقاموا ليلتين يفكرون في أمرهم، فاستقر رأيهم على أن يكتبوا للنبي ليرى راية. وكان عبد الله بن رواحه ثالث أمراء الجيش الإسلامي، وعندما رأى عبدالله تردد المسلمين جعل يشجعهم على الجهاد، فقال: "يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة"، وقال: [٢٦]

جلبنا الخيل من أجإ وفرع تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات تنفس في مناخرها السموم
فلا وآبى مآب لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها أسنتها فتنكح أو تئيم

يتغنى عبد الله بن رواحة بإصرار المسلمين على القتال، فيشير إلى طبيعة الأرض التي قطعتها الخيل،وإلى الاماكن التي ارتاحوا ، ويصف المعنويات العالية التي كانت رفيقة دربهم.

وهزم جيش المسلمين في بداية المعركة، واستشهد أمراؤه الثلاثة، وتناهت أنباء الهزيمة إلى المدينة المنورة، فحزن الرسول وحزن معه سائر الناس، وكان وقع المصيبة شديدا على نفوسهم، ولعل حسان بن ثابت هو خير من عبر عما أصاب المسلمين من حزن في قصيدة وصف فيها تتابع أمراء الجيش جميعاً راغبين الشهادة في سبيل الله، قادمين للموت الذي هو أمامهم، مجاهدين حتى يقع كل واحد منهم شهيدا، يقول: [٢٧]

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله حين تتابعوا جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
فطاعن حتى مال غير موسد لمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائق أخضر

١- **ابن هشام ، عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها، الدكتور/ عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م ، ج ٤: ص١٣-١٤ .**

٢- **الانصاري، حسان بن ثابت ، ديوانه، ص** ، ١٠٨.

يستخدم الشاعر لا يبعدن وهي من الأدعية التي بقيت من العصر الجاهلي واستخدمت في الرثاء،ويستخدم الشاعرمصطلح (المؤمنين)، والله فرَّق بين الإيمان والإسلام وحضور مصطلح الإيمان في القصيدة دليل على استيعاب الشاعر لمعناه وأما حضور مصطلح المستشهدين فمرتبط بإيمان الشاعر بالحياة الأخرى بعد الموت، وبأن المصير إما جنة أو نار

ويعيد كعب بن مالك وصف غزوة مؤتة ، فيصف صبر المسلمين فيها، وحسن جهادهم، وإقدامهم على قتال الأعداء، يقول: [٢٨]

وجداً على النفرِ الذين تتابعوا	يوماً بمؤتةَ أسندوا لم يُنقلوا
صلَّى الإله عليهم من فتيةٍ	وسقى عظامَهم الغِمامُ المُسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم	حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم	فنق عليهن الحديد المرفل.

تظهر في هذه الأبيات إشارات موحية قوية إلى مدى تأثير العقيدة الإسلامية الناشئة في الصحابة، ففيها صورة لحزن المسلم على المسلم الشهيد ممزوج بفرح بالشهادة، وفيها دعاء المسلم للشهيد "صلى الإله عليهم" ، ولكن ما يلفت النظر في هذه الأبيات هو اللوحة التي رسمها للشهداء وكونَّها من صور حركية متكاملة وبألفاظ تمتلئ حركة :تتابعوا، أسندوا، فمضوا أمام المسلمين، فنق عليهن الحديد المسبل ، ولا يذكر فيها بقية القتلى، ثم إن في الأبيات ما يشير إلى لبس القادة حديدا مرفلا ليحميهم من الطعنات والضربات. وتؤكد هذه الأبيات أن العقيدة الإسلامية قد امتزجت بفكر المسلم وعمله وصفته فهم صبروا نفوسهم لله ، وأقدموا ولم يدبروا، وقاتلوا ولم يهربوا، وكان هدفهم رضا الله وسعوا إليه بصدق وصبروا على مشقته.

وصف معركة وادي حنين

عادت هوازن وثقيف المسلمين، وأخذتا تعدان العدة لحربهم، فأعدّ الرسول الكريم جيشا عظيما لقتالهما، وخرج إلى لقائهما، فأدركهما في وادي حنين، ولكن هوازن فاجأت المسلمين يومئذٍ، فرجع المسلمون لا يلوي أحدٌ على أحد. قال تعالى:(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ).[٢٩]

١- **الانصاري، كب بن مالك ، ديوانه ، ص** ، ص، ٢٦٠- ٢٦١.

١- **سورة التوبة ، آية: ٢٥- ٢٦.**

وثبتَ رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، ومعه القليل من المسلمين، وأبلى العباس ابن عبد المطلب أشد البلاء، فقد دافع عن الرسول الكريم وردّ الخيل المغيرة. يقول: (٣٠)

وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

فخر العباس بأنه كان من بين سبعة بقوا مع الرسول يوم حنين ودافع عنه، و بالوفي رأيي أن هذا تصوير واضح في الآية الكريمة، إذ أعجب المسلمون بكثرتهم، وظنوا أن لأغالب لهم، ثم هزموا رغم كثرتهم، و ثبت الله سبحانه وتعالى رسوله، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين عند الفرار في المعركة، ومن ذلك دفاع العباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم بكل شجاعة، عندما فر المسلمين ولم يبقْ إلا عدد قليل من المجاهدين، فقد أبلوا بلاء حسناً، وتمكنوا من رد خيل الأعداء ، بقدرة من الله الذي أنزل جنود لم يرها أحد ، ونصر رسوله والذين آمنوا معه، وذلك يدل على أن النصر من الله وليس بكثرة العدد.

وصف الشهداء في المعركة

سقط في هذه المعارك شهداء من المسلمين، وقد وصفت لنا المراثي التي قيلت في شهدائهم شدة حزنهم عليهم، وروح التعاطف مع من أصيبوا في هذه معارك. (٣١)

فهذا حسان بن ثابت يحاول أن يطفئ نار الحزن المشتعلة في صدره فيتجه إلى رثاء القتلى، ويتمنى على عينه أن تستهل بدمع غير نزر على قتل المنذر بن عمرو، وقتل غيره من أصحاب الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: (٣٢)

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا منایاهم ولاقتهم بقدر
أصابهم الفناء بحبل قوم تخون عقد حبلهم بغدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولى وأعنق في منيته بصبر

تنتشر في أبيات الشاعر علامات الحزن العميق القوي على الشهداء الفرسان الذين قضوا في هذه المعركة إلى جانب علامات أخرى قوية على تغلغل الإسلام بتعاليمه في صدور المسلمين ؛ فهو يصر على أن الخيل خيل رسول الله، ويوحد في حديثه بين الفارس والفرس فهم قتلوا على مقاتلين على ظهرها . وحسان في هذه الأبيات كغيره من الشعراء لم يذكر قتلى المسلمين من عامة الناس ، وإنما ذكر المنذر بن عمرو وحده وكان أمير القوم.

٢- **الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص ٩٦.**
٣- **شعر الصراع بين الإسلام وخصومه.ص٢٠٣,٢٠٥.**
٤- **الأنصاري، حسان بن ثابت، ديوانه، ص١١٤.**

وكذلك عزّ فراق سعد بن معاذ على حسان بن ثابت فقام يبكيه، ويبكي من استشهد معه، كما بكى حمزة يوم أحد. ولكنه في هذه المرة يبرز بلاء الأنصار ويبين ما يقدمون من تضحيات في سبيل الله:(٣٣)

تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت بنات الحشى وانهل مني المدامع
صبابة وجد ذكرتني أحبه وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع

تشير هذه الأبيات إلى وحدة صف المسلمين، وقوة تلاحمهم ، وحب بعضهم بعضا، وليس ذلك الحزن الذي يرافق الأبيات خوفاً من الموت، ولكنه حزن سببه فقد إخوة لهم في الله أحبوهم وآثروهم على أنفسهم. ويظل ذكر الجنة حاضرا في قصائد رثاء الشهداء في ذلك العصر وواضح أن في ذكرها تأكيد لمصيرهم وتذكير بالحياة الخالدة فيها،

وصف معركة القادسية

انطلق الجيش الإسلامي لفتح بلاد فارس والشام ومصر وغيرها من البلدان، ورافق الشعر العربي هذه الفتوحات، فوصف المعارك، وصور انتصارات المسلمين وبلاء فرسانهم، ولمعت في سماء الشعر أسماء شعراء اشتهروا وبرزوا لم يكن بعضهم معروفا من قبل، همت بالشعر ألسنتهم، وتناقلت الرواة قصائدهم، ومن هؤلاءالشعراء الذين صوروا لنا بطولة الفرسان وحماستهم، بشر بن ربيعة الخثعمي في معركة القادسية،إذ يقول: (٣٤)

تذكر هداك الله وقع سيوفنا بباب قديس والمكر عسير
عشية ودّ القوم لو أن بعضهم يعار جنا حي طائر فيطير
إذا ما فزعنا من قراع كتيبة دلفنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنهم جمال بأجمال لهن زفير

تركز الأبيات السابقة على وصف انشغال المسلمين بالقتال، وعدم ركونهم إلى الراحة ؛ فهم كانوا إذا فزعوا من قراع كتيبة دلفوا لأخرى وهم ثابتون كالجبال

ويصور بشر بن ربيعة وقع السيوف في المعركة، ويذكر عسر المكر، ويشير إلى الخطط العسكرية التي تفرضها المعركة؛ بالخروج من المعركة لتنظيم صفوف الجيش من جديد، ثم العودة للمعركة مرة أخرى، ولكن هذا الخروج أصبح من المستحيل، إذ تمنى بعض القوم أنه طائر فيخرج من هذه العركة لشدة هول المنايا التي تحيط به من كل جانب.و يصور الشاعر جيش الأعداء بأنه كتائب ضخمة متتابعة مثل الجبال، وأن المسلمين كلما تخلصوا من كتيبة جاءت غيرها.

١- **الأنصاري، حسان بن ثابت، ديوانه، ص ١٥٥.**
٢- **العسقلاني، أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة،**ج١: ص٣٤١.

وجاءت الأبيات بنظرة كلية فاحصة،فترى أن الشاعر اكتفى بالحديث عن قوة المعركة، وصبر المسلمين وتصميمهم على مواصلة القتال، ولم يشتم ولم يجرح، ولم يستخدم كلمة نابية، ولم يذكر ما يهين كرامة العربي، إذا لم يهجهم بنقص في الأخلاق ولا اتهمهم بالكذب، وإنما هو حديث الفرسان والحرب، ومعروفة لهم نتائجها إما نصر وإما خسارة وهزيمة

وأما قيس بن المكش في معركة القادسية فيقول:[٣٥]

جلبت الخيل من صنعاء تردى بكل مدجج كالليث سامى
إلى وادي القرى فديار كلب إلى اليرموك فالبلد الشآمى
وجئن القادسية بعد شهر مسومة دوابرها دوامى
فناهضنا هنالك جمع كسرى وأبناء المرازبة الكرام
فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسهِ فهوى صريعاً بسيفٍ لا أفل و لا كهام
وقد أبلى الإله هناك خيراً وفعل الخير عند الله نامي

استخدم الشاعر حرف العطف الفاء ليشير إلى سرعة الانتقال بين الأماكن والسرعة التي افتتحت فيها،وإلى مواصلة المسلمين القتال شهرا كاملا بلا راحة حتى وصلوا موقع القادسية، فهو يتتبع مسار جيش المسلمين من صنعاء افالجزيرة العربية حتى وصل القادسية، وشبه فرسان الجيش في لبسهم الدروع وحملهم السلاح بالأسد، دوابرها دوامي. وتكشف الأبيات عن حقيقة تأريخية وهي أن الجيش الإسلامي كان مسلحا بل مدججا بالسلاح، ومعه فرقة يمينة من الفرسان المدججين، وأن الخيول وفرسانها هم ركن قوي من أركان جيش المسلمين

ثم صور التقاء الجيش الإسلامي جيش كسرى، وإطاحته برأس رستم قائد الفرس، ويختتم أبياته ببيت يدل على روح الإيمان؛ إذ كان عمله لله تعالى، بل إنه نسب الأمر جميعه إلى الله الذي رمى بيده قائد الفرس.

وقال عمرو بن شاس الأسدي وهو يصور معركة القادسية: [٣٦]

جلبنا الخيل من أكناف نيق إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن لهم على الاقتام شجوا وبالحقوين أياماً طوالا
وداعية بفارس قد تركنا تبكى كلما رأت الهلالا
قتلنا رستما وبنيه قسراً تثير الخيل فوقهم الهيالا
وفرّ الهرمزان ولم يحامي وكان على قبيلته وبالا
تركنا منهم حيث التقينا قياما ما يريدون ارتحالاً

١- **في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي. فوزي محمد أمين. دار المعرفة الجامعية** ، ص١٨.

١- **الجوري، يحيى ، شعرعمرو بن شأس الأسدي، دار القلم، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ص٧٠.**

صوَّر الشعر في هذه المعركة مقتل رستم وبنيه، وبين أنه أشترك فيه كبار الشعراء الفرسان، ومن الشعراء الذين تنازعوا دمه: عمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح المرادى، وعمرو بن شأس الأسدى، وغيرهم من الفرسان.

ويؤكد الشاعر ما ذهبنا إليه من أن سبب كثرة ذكر الأماكن في قصائد الفتح كان لغرض الفخر بالفعل البطولي والتأريخ له والاعتزاز به فقد كان مفاجأة ذلك العصر.

وصف الجهاد في غزوات أخرى

تتحدث المصادر عن معارك كثيرة بين جيش المسلمين وجيوش الأعداء، وتنقل إلينا كثيرا مما قيل فيها شعرا، فهذا السجف المجاشعي ينقل إلينا مشهدا مؤثرا من المعركة حين حشد خاقان قواتا لا قبل للمسلمين بهم وهو قلة لا صريخ لهم، فدخل الرعب والخوف في قلوبهم، مما أثر في معنوياتهم وأدائهم في القتال، يقول: [٣٧]

لاقوا كتائب من خاقان معلمة عنهم يضيق فضاء السهل والجبل
لم رأوهم قليلا لا صريخ لهم مدوا بأيديهم لله وابتهلوا
وبايع رب موسى بيعة صدقت ما في قلوبهم شك ولا دغل

تصف القصيدة كيف أن قوات الأعداءالمدربة على فنون القتال بعددها الكبير الذي ضاق به السهل والجبل وأدخل الرعب إلى قلوب المسلمين. وأشارت إلى أن المسلمين حينذاك لجأوا إلى الله فرفعوا الأيدي وابتهلوا ، وبايعوا الله على نشر دينه. تأثر الشاعر في الأبيات السابقة بالقرآن الكريم بلفظه كما في قوله لا صريخ لهم ومعنى كما في قوله وبايع رب موسى بيعة، وفيها إشارة إلى قوله تعالى:(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله). [٣٨]

وهذا سعيد بن عمرو الحرشي، وقد وجهه هشام بن عبد الملك، على رأس جيش لمساعدة المسلمين في إحدى الوقائع التي تمكن العدو فيها من إيقاع الهزيمة بهم، يخاطب جيشه فيقول:" إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة،ولا بعدة، ولكن بنصرة الله وعزة الإسلام فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله ". ثم ينشد بعد ذلك أبياتا يحبب فيها بالنصر، ويبشر فيها المقاتلين في سبيل الله به، وهو لم ينس أن يثير حماسهم، ويشحن هممهم،ويذكِّرهم ببطولته وفروسيته، وإقدامه على الموت، وببطولة أبناء قبيلته[٣٩]، يقول: [٤٠]

١- **عطوان ، حسين، الشعر في خرسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٥٦.**
٢- **سورة البقرة، آية : ٢٤٩.**
٣- **الهليس،عمرو سعيد، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري**،الناشر: وزارة الثقافة، الأردن - عمان. طبعة ١٤٢٣-٢٠٠٢، **ص ١٦١.**
٤- **الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٧ه، ج٤: ص٩٩.**

فلست لعامر إن لم تروني أمام الخيل أطعن بالعوالي
فأضرب هامة الجبار منهم بعضب الحد حوث بالصقال
فما أنا في الحروب بمستكين ولا أخشى مصاولة الرجال
أبى لي والدي من كل ذم وخالي في الحوادث غير خال
إذا خطرت أمامي حي كعب وزافت كالجبال بنو هلال.

إن الصور التي مدح الشاعر فيها نفسه تعبر عن إخلاصه في السعي للنصر، وأن البطولة هي ميزة أبناء قبيلته، ولن يكون منها إن لم يكن في الصدر أمام الخيل يطعن بالعوالي، ويضرب هامة الجبار بسيفه البتار، وهو بهذه القصيدة يشير إلى إيمان جيش المسلمين بأن القوة لله سبحانه تعالى، وأن النصر من عنده وليس بكثرة العدد. وأما فخره بأبيه وجده وقبيلته فهو من باب الفخر بالشجاعة والبطولة والقوة لا من باب التفاخر والتباهي، وهو يؤكد أن ما ورثه عنهما من قوة وشجاعة وجهه لخدمة الإسلام والدفاع عنه .

الخاتمة

صورالشعر في العصر الإسلامي المعارك الإسلامية بروح إسلامية صافية فهو قد تقيد بتعاليم الإسلام فكرا ومعنى ولغة.

وإن أكثر القصائد التي وصلتنا من شعر الجهاد في العصر الإسلامي قالها شعراء فرسان شاركوا في المعارك بسيوفهم، وعاشوا الحدث بعيونهم وبقلوبهم.

ويمكن الاسترشاد بشعر الجهاد الذي قيل في معارك الفتح والاستدلال به لأنه قد يرقى ليكون وثيقة تاريخية تبين مسير الأحداث وتطورها، ونتائج المعارك وتقلبها، وأسماء القتلى والشهداء الذين سقطوا فيها. وفي القصائد تصوير واضح لتحرك الجيش إلى أرض المعركة وفوقها، وتصوير لهجوم الفرسان على الأعداء، ومقارعة السيوف وقت القتال، وعدو الخيل أثناء المعركة، وهي تعطي صورة واضحة للخطط العسكرية ومسار الجيوش، والأماكن التي مرت منها.

تكفل الشعر في العصر الإسلامي بالحض على القتال وبالتحميس للمعركة، وتشجيع إليها،وبث روح الحماس في صفوف المجاهدين، والتغني بالنصر وتأكيد أنهم الفئة المنتصرة لأنهم يرفعون راية الحق، والرد على هجاء الأعداء بهجاء مقنن متزن مراعٍ لأمر الله ومبتعد عما يخالف أوامره .

صورت كثير من القصائد المعركة بدقة، وكما يرسم الرسام لوحته رسم الشعراء مشاهد المعارك بالكلمات، ولم يستثنوا أي عنصر مشارك في المعركة من اللوحة المعبرة عن مشاعرهم ومشاعر المقاتلين للمعركة،ولكن كثيرا منها اكتفى بالقليل من أحداثها،ولعل أهم الصور في تلك اللوحات هي صورة المقاتلين المسلمين وهم ينطلقون للجهاد لا حبا في الغزو وتهافتا على مغانمه، وإرضاء لهوى القتال الكمين في طباعهم وإنما جهادًا في سبيل الله، وبرغبة وحنين إلى الجنة، وباستهانة بالحياة،وهم يتمثلون الآخرة وكأنما يرونها رأي العين.

سارت قصائد الجهاد في وصف المعارك على نمط يكاد يكون ثابتا؛ فهي تبدأ غالبا بوصف الرحلة.

احتوت القصائد مشاعر إسلامية صافية صادقة،وإشارات إلى أمور عقدية إذ لم يكن هدفهم كما واضح في القصائد، التباهي واستعراض القوة وإنما نشر الإسلام.فإن تغنوا تغنوا بنصر المسلمين بقبائل الأبطال .

عبرت القصائد عن مواقف الشعراء بلغة سهلة بسيطة لطيفة، وألفاظ فيها محاكاة لألفاظ القرآن والسُّنة ومجانبة لحُوشي الألفاظ وتوسع في دلالتهافقد استعملت ألفاظ كالصيام والصلاة والمؤمن والكافر.

إن لقصائد الجهاد التي قيلت في وصف المعارك بالإضافة إلى قيمة التأريخية العظيمة، قيمة فنية عالية لأنها تكشف عن سمات قصيدة الجهاد في العصر الإسلامي ، التي التزمت الوضوح والبساطة والسرد التاريخي لكل مراحل المعركة .

أرجو من الله التوفيق، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- ـ القران الكريم.
- شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة . كمال جبر أمين دار المناهج، عمان- الأردن. الطبعة الأولى١٩٩٩م.
- لبخاري، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
- النيسابوري،.مسلمبنالحجاجأبوالحسينالقشيري، صحيح مسلم، تحقيق : محمدفؤادعبدالباقي، دارإحياءالتراثالعربي – بيروت.
- السلمي، محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأنصاري، كعب بن مالك. ديوانه، نشر مكتبة النهضة – بغداد ، تحقيق: سامي مكي المعاني، ط١، ١٩٦٦م.
- الأنصاري، حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر – بيروت، ط ٢٠٠٦م.
- الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢.
- عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م ، دار الجيل – بيروت.
- ابن هشام ، عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها، الدكتور/ عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م .
- الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي. فوزي محمد أمين. دار المعرفة الجامعية، طبعة ٢٠٠٣م..
- الجوري، يحيى ، شعرعمرو بن شأس الأسدي، دار القلم، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
- عطوان ، حسين، الشعر في خرسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الهليس،عمرو سعيد، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، وزارة الثقافة، الأردن - عمان. طبعة ١٤٢٣-٢٠٠٢.
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٧ه.